

السنابل

مختار من مؤلفات

جناب خلیفان

ک

Kahlil Gibran.

Al-Sanabil

السَّنَابِلُ

مُتَخَيَّرَاتٌ مِنْ مَوْلَانَا

جِبْرِالْخَلِيلِ

Al-Sanabil



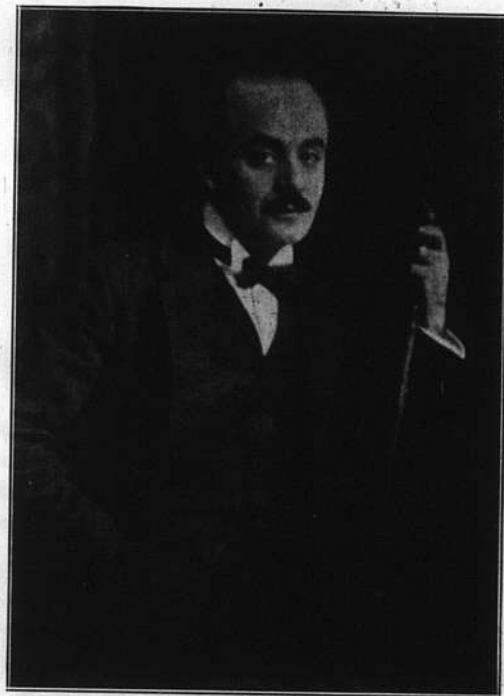
من  
« الموسيقى »

(وهو اول مقال لجبران طبع على حدة سنة ١٩٠٥)

.....

وجد الانسان فاوحيت اليه الموسيقى لمن العلاء  
لغة وليست كاللغات تحكي ما يكنه القلب للقلب  
فهي حديث القلوب . وهي كالحب عم تأثيرها  
الناس فترنم بها البرابرة في الصحراء وهزرت  
اعطاف الملوك في الصروح . مزجتها التكللى مع  
نوحها فكانت ندباً يفتت قلب الجساد . وشها  
الجدلان مع افراحه فكانت انشادا يطرب مغلوب  
الارزاء فقد حاكت الشمس اذا حيت باشتها جميع  
زهور الحقل .

الموسيقى كالمصباح تطرد ظلمة النفس وتثير  
القلب فتظهر اعماقه . والالحان في قضائي اشباح



جبران خليل جبران

الذات الحقيقية او خيالات الشعائر الالهية . والنفس  
كالمرآة المنتصبة تجاه حوادث الوجود وفواعله  
تعكس عليها رسوم تلك الاشباح وصور تلك  
الخيالات .

النفس زهرة لينة في مهب ريح التقادير نسيما  
الصباح تهزها وقطرات الندى تلوي عنقها . كذا  
تغريدة عصفور تبه الانسان من غفلته فيضحي  
ويشعر ويمجد معه الحكمة مبدعة نعمة الطائر العذبة  
وشعوره الرقيق وتهيج تلك التغريدة قوى فكرته  
فيسال ذاته وما يحف به عما اسره لحن ذلك  
الطائر الحثير فحرك اوتار عواطفه واوحى اليه  
معاني ما حوتها كتب الأتلى تقسموه . يسأل  
مستهماً عما اذا كان العصفور يناجي زهور الحقل  
ام يجاكي اغصان الاشجار ام يقلد خريف مجاري  
المياه ام ينادم الطبيعة بأسرها ولكنه لا يستطيع  
الى الحصول على الجواب سبيلا .

الانسان لا يدري ما يقوله العصفور فوق اطراف

الاغصان ولا الجدول على الحصبا . ولا الامواج اذ  
تأتي الشاطئ ببطء وهدوء . ولا يفقه ما يحكيه  
المطر اذ يتساقط منههلا على اوراق الاشجار او عندما  
يطرق بانامله اللطيفة بلور نافذته ولا يفهم ما  
يقوله النسيم لزهور الحقل ولكنه يشعر ان قلبه يفقه  
ويفهم مفاد جميع هذه الاصوات فيهتز لها تارة  
بعوامل الطرب ويتشهد طورا بفواعل الالهي  
والكآبة . اصوات تناجيه بلغة خفية وضعتها  
الحكمة قبل كيانه فتحدثت نفسه والطبيعة مرات  
كثيرة وهو واقف معقود اللسان حائرا وربما ناب  
عن لفظه الدمع والدمع افصح مترجم .

.....

تسير الموسيقى امام العساكر الى الحرب فتجدد  
عزيمة حبيتهم وتقويهم على الكفاح والجاهزية  
تجمع شتاتهم وتؤلف منهم صفوفاً لا تتفرق . ما  
نارت الشعراء امام الكتائب الى ساحات القتال  
موطن المثية لا ولا الخطباء . ما رافقتهم الاقلام

والكتب بل مشت امامهم الموسيقى كقائد عظيم  
يبت باجسامهم الواهنة قوة تفوق الوصف وحمية  
تبه في قلوبهم حب الانتصار فيغالبون الجوع  
والعطش وتعب السير ويدافعون بكلما في اجسادهم  
من القوة ووراءها يسيرون بفرح وطرب ويتبعون  
الموت الى ارض العدو البغوضة . كذا يستخدم ابن  
آدم اقدس ما في الكون لتعميم شرور الكون .  
الموسيقى رفيقة الراعي في وحدته وهو ان جلس  
على صخرة في وسط قطيعه نفخ بشبابته الجاناً  
تعرفها نعاجه فترعى الاعشاب آمنة . والشبابة عند  
الراعي كصديق عزيز لا تفارق وسطه وتديم محبوب  
تستبدل سكنة الوديان الرهيبية برياض مأهولة  
وتقتل بانغامها الشجية وحشتها وتملاً الهواء انساً  
وحلاوة .

الموسيقى تقود اظعان المسافرين وتخفف تأثير  
التعب وتقصر مديد الطرقات . فالعيس لا تسير  
في اليباء الا اذا سعت صوت الحادي والقافلة

لا تقيم بثقيل الاحمال الا اذا كانت الاجراس  
معلقة برقابها ولا بدع فالعقلاء في ايماننا هذه يربون  
الضواري بالالغان ويدجنونها باصوات عذبة .

.....

يا ابنة النفس والمحبة . يا اناء مرارة الغرام  
وحلاوته . يا خيالات القلب البشري . يا ثمره  
الحزن وزهرة الفرح . يا رائحة متصاعدة من طاقة  
زهود الشعائر المضمومة . يا لسان (المحين) ومذبة  
اسرار العاشقين . يا صائفة الدموع من العواطف  
المكنونة . يا موجية الشعراء ومنظمة عقود الازان .  
يا موحدة الافكار مع تنف الكلام ومولفة الشوارع  
من مؤثرات الجمال . يا خمرة القلوب الراكحة  
شاربها الى اعالي عالم الخيالات . يا مشجعة الجنود  
ومطهرة نفوس العابدين . يا ايتها التموجات  
الاثيرية الحاملة اشباح النفس ويا بحر الرقة واللفظ  
الى امواجك نسلم انفسنا وفي اعماقك نستودع

من  
«عرائس المروج»

١٩٠٥ - ١٩٠٦

مرتا البانية

(مرتا البانية فتاة قروية لبنانية ، يفرها احد الاغنياء ثم يهجرها بعد ان تضع غلاما . يلتقي المؤلف هذا الغلام بعد سنتين في بيروت ، فيعرف منه انه ابن مرتا البانية ، وانها على فراش الموت ، فيسأله ان يقوده اليها ، واذ تراه داخلا تقولان : - )

«ماذا تريد يا رجل هل جئت لتبتاع حياتي  
الاخيرة وتجعلها دنسة بشهواتك . اذهب عني  
فلا لذة مشحونة بالنساء اللواتي يبغضك اجسادهن  
ونفوسهن باخس الاثمان . اما انا فلم يسق لي  
ما ابيعه غير فضلات انفاس متقطعة عما قريب  
يشترها الموت براحة القبر»

فاقتربت من سريرها وقد آلت كلماتها قلبي  
لانها مختصر حكايتها النيسة وقلت متمنيا لو

قلوبنا فاحملها الى ما وراء المادة وارينا ما تكه  
عوالم الغيب .

تكاثري يا عواطف النفوس وتعاطمي يا شوارع  
القلوب وارفعي ايادي ذوي الايادي لبناء الهياكل  
لهذه الالهة العظيمة . وانزل يا ملاك الوحي على  
قلوب الشعراء واسكب في خلايا قريحتهم مديحا  
وتسبيحا لهذه العظيمة المقدسة . واكبري يا مخيلة  
الرسامين والنقاشين وابتدعي لها صورا واشباحا .

كرموا يا سكان الارض كهنتها وكاهناتها  
وعيدوا لذكور خدامها وشيدوا لهم التماثيل . صلي  
ايتها الامم وسلمي على اورفيوس وداود والموصلي  
وعظمي ذكر بيتوفن وفنتر وموزارت . وغني  
يا سوريا اسم ثاكر الحلبي ويا مصر عبده الحمولي .  
كبر ايها الكون الأثلي بثوا في سائلك انفسهم  
وملاؤا الهواء ارواحاً لطيفة وعلموا الانسان ان  
يرى بسمعه ويسمع بقلبه . امين .

كانت عواظي تسيل مع الكلام « لا تخافي مني  
يا مرثا فانا لم اجيء اليك كحيوان جائع بل كإنسان  
متوجع . انا لبناي وقد عشت زمناً في تلك  
الاودية والقرى القريبة من غابة الارز . لا تخافي  
مني يا مرثا »

سعت كلماتي وشعرت بانها صادرة من اعماق  
نفس تتألم معها فاهتزت على مضجعتها مثل القضبان  
العارية امام رياح الشتاء ، ووضعت يديها على  
وجهها كأنها تريد ان تستر ذاتها من امام الذكرى  
الهائلة بحلاوتها المرة بجمالها . وبعد سكونية ممزوجة  
بالتأوه ظهر وجهها من بين كتفيها المرتجفتين  
فرايت عيني غائرتين محدقتين بشيء غير منظور  
منتصب في فضاء الغرفة ، وشفقتين يابستين تحر كهما  
ارتعاشات اليأس ، وعنقاً تردد فيه حشرة النزاع  
المحسوبة بأنين عميق متقطع ، وبصوت يشه  
الالتماس والاستعطاف ويسترجعه الضعف والالام  
قالت : « جئت محسناً مشفقاً فلتجرك السماء عني

ان كان الاحسان على الخطاة برأ والشفقة على  
المرذولين صلاحاً . ولكنني اطلب اليك ان تعود من  
حيث اتيت لان وقوفك في هذا المكان يكسبك  
عاراً ومذمة وحنانك علي يشر لك عيياً ومهانة .  
ارجع قبل ان يراك احد في هذه الغرفة الدنسة  
المملوءة باقذار الحنازير ، وسر مسرعاً ساتراً وجهك  
بانوابك كيلا يعرفك عابر الطريق . ان الشفقة  
التي تملأ نفسك لا تعيد الي طهارتي ، ولا تمحو  
عيوبي ، ولا تزيل يد الموت القوية عن قلبي . انا  
منفية بحكم تعاستي وذنوبي الى هذه الاعماق  
المظلمة ، فلا تدع شفقتك تدنيك من العيوب . انا  
كالابرص الساكن بين القبور فلا تقترب مني لان  
الجامعة تحسبك دنساً وتقصيك عنها ان فعلت .  
ارجع الان ولا تذكر اسمي في تلك الاودية  
المقدسة لان النجبة الجرباء ينكرها راعيها خوفاً على  
قطيعه . واذا ذكرتني قل قد ماتت مرثا البانية ولا  
تقل غير ذلك » ثم اخذت يدي ابنتها الصغيرتين



وقبتهما بلهفة وقالت متهتدة : « سوف ينظر  
الناس الى ولدي بعين السخرية والاحتقار قائلين  
هذا ثمرة الاثم ، هذا ابن مرتا الزانية ، هذا ابن  
العار ، هذا ابن الصدف - سوف يقولون عنه اكثر  
من ذلك لانهم عيان لا يبصرون وجهاء لا يدرون  
بان امه قد طهرت طفولته باوجاعها ودموعها ،  
وكفرت عن حياته بتعاستها وشقاها . سوف اموت  
واتركه يتيماً بين صبيان الازقة ، وحيداً في هذه  
الحياة القاسية ، غير تاركة له سوى ذكرى هائلة  
تخجله ان كان جباناً خاملاً وتهيج دمه ان كان  
شجاعاً عادلاً ، فان حفظته السماء وشب رجلاً قوياً  
ساعد السماء على الذي جنى عليه وعلى امه ، وان  
مات وتخلص من شبكة السنين وجدني مترقبه قدومه  
هناك حيث النود والراحة»

فقلت وقلبي يوحى الي : لست كالابصر يا  
مرتا وان سكنت بين القبور ولست دنسة وان  
وضعتك الحياة بين ايدي الدنسين . ان ادران

الجسد لا تلامس النفس النقية والشلوج المتركمة  
لا تميمت البذور الحية ، وما هذه الحياة سوى بيد  
احزان تدرس عليه اغمار النفوس قبل ان تعطي  
غلتها : ولكن ويل للسنايل المتروكة خارج البيدر ،  
لان نمل الارض يحملها وطيور السماء تلتقطها فلا  
تدخل اهراء رب الحقل . انت مظلومة يا مرتا  
وظالمك هو ابن القصور ذو المال الكثير والنفس  
الصغيرة . انت مظلومة ومحتقرة وخير للانسان ان  
يكون مظلوماً من ان يكون ظالماً ، واخلق به ان  
يكون شهيد ضحف الفريزة من ان يكون قهراً ساحقا  
بمقايضه زهور الحياة ، مشوها بامباله محاسن  
العواطف . النفس يا مرتا هي حلقة ذهبية مفروطة  
من سلسلة الالهوية فقد تهمصر النار العامية هذه  
الحلقة وتغير صورتها وتمحو جمال استدارتها لكنها  
لا تحيل ذهبها الى مادة اخرى بل تزيده لمعاناً .  
ولكن ويل للمهشم اذ تاتي النار وتلتهمه وتجعله  
رماداً ثم تهب الرياح وتذريه على وجه الصحراء .

أي مرتا أنت زهرة مسحوقة تحت اقدام الحيوان  
المختبئ في الهياكل البشرية . قد داستك تلك  
النعال بقساوة لكنها لم تخف عطرك المتصاعد مع  
فواح الارامل وصراخ اليتامى وتنهيدات الفقراء  
نحو السماء مصدر العدل والرحمة . تعزي يا مرتا  
بكونك زهرة مسحوقة ولست قدماً ساحقة »

كنت اتكلم وهي مصغية وقد انارت التعزية  
وجهها المصغر مثلما تنير اشعة المغرب اللطيفة خلايا  
القيوم . ثم اومأت الي ان اجلس على جانب  
السرير ففعلت مسائل ملامحها المتكلمة عن مخبات  
نفسها الحزينة . ملامح من عرف انه مانت .  
ملامح صبية في ربيع العمر قد شعرت بوقع اقدام  
الموت حول فراشها البالي . ملامح امرأة متروكة  
كانت بالامس بين اودية لبنان الجميلة مملوءة  
حياة وقوة ، فصارت اليوم مهزولة تترقب الانعقاد  
من قيود الحياة . وبعد سكونة موهنة جمعت  
فضلات قواها وقالت ودموعها تتكلم معها ونفسها

تبعث مع انفاسها : « نعم انا مظلومة . انا شهيدة  
الحيوان المختبئ في الانسان . انا زهرة مسحوقة  
تحت اقدام . كنت جالسة على حافة ذلك  
الينبوع عندما مر راكبا . . . قد خاطبني بلطف ورقة  
وقال لي اني جميلة وانه قد اجنبي فلا يتركني ،  
وان البرية مملوءة وحثا والاودية هي مساكن  
الطيور وبنات آوى . . ثم الوى علي وضمني الى  
صدره وقبلني ، وكنت لم اذق لتلك الساعة طعم  
القبلة لاني كنت يتيمة متروكة . . اردفني خلفه  
على ظهر الجواد وجاء بي الى بيت جميل منفرد ثم  
اتي بالملابس الحريرية والعلطور الزكية والماكل  
اللذيذة والمشارب الطيبة . . . . . فعل كل ذلك مبتسما  
ساترا بشاعة امياله وحيوانية مرامه بالكلام اللطيف  
والاشارات المستحبة . . . . . وبعد ان اشبع شهواته من  
جسدي واثقل بالذل نفسي غادرني تاركا في  
احشائي شلطة حية ملتتهمة تغذت من كبدي ونمت  
بسرعة ثم خرجت الى هذه الظلمة من بين دخان

الأوجاع ومرارة العويل .. وهكذا قسمت حياتي  
الى شطرين شطر ضعيف متألم و شطر صغير  
يصرخ في هدوء الليل طالباً الرجوع الى النضاه  
الوسيع ... في ذلك البيت المنفرد تركني الظلوم  
ورضيبي تقاسي مضض الجوع والبرد والوحدة ، لا  
معين لنا غير البكاء والنحيب ، ولا سير سوى  
الخوف والهواجس ... وعلم رفاقه بمكاني  
وعرفوا بعوزي وضعفي فجاء الواحد بعد الآخر  
وكل يبتغي اتباع العرض بالمال واعطاء الجز لقاء  
شرف الجسد ... آه كم قبضت على روحي بيدي  
لتقديمها للابدية ، ثم افلتها لانها لم تكن لي وحتدي  
فشريكي بها كان ولدي الذي ابعده السماء عنها  
الى هذه الحياة مثلما اقصتني عن الحياة والقتني في  
اعماق هذه الهاوية ... والان هو ذا الساعة قد دنت  
وعريسي الموت قد جاء بعد هجرانه ليقودني الى  
مضجعه الناعم

وبعد سكونة عميقة تشابه مس الأرواح المتظاهرة

رفعت عينيها المحجوبتين بظل النية وقالت بهدوء :  
« ايها العدل الخفي ، الكامن وراء هذه الصور  
المخيفة ، انت انت السامع عويل نفسي المودعة ونداء  
قلبي المتهامل ، منك وحدك اطلب ، واليك اتطرح ،  
فارحمني وارح يمينك ولدي واستلم يسر الكدوحي »  
وخارت قواها وضحفت تهديداتها ونظرت الى  
ابنها نظرة حزن وحنو ثم ميلت عينيها ببطء وبصوت  
يكاد يكون سكونة قالت : « ابانا الذي في السموات ..  
ليقدس اسمك .. ليات ملكوتك .. لتكن  
مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض .. اغفر  
لنا ذنوبنا »

واقطع صوتها وبقيت شفتاها متحركة هنيهة  
وبوقوفها همدت كل حركة في جسدها .. ثم  
اختلفت وتأوهت وايض وجهها وفاضت روحها ،  
وظلت عيناها محذقتين بما لا يرى

\*\*\*

عندما جاء الفجر وضحت جثة مرثا البانية في تابوت

خشبي وحملت على كتفي فقيرين ودفنت في حقل  
مهجور بعيد عن المدينة • وقد رفض الكهان الصلاة  
على بقاياها ولم يقبلوا ان ترتاح عظامها في الجبانة  
حيث الصليب يخفر القبور ، ولم يشعها الى تلك  
الحفرة البعيدة غير ابنها وفي آخر كانت مصائب  
هذه الحياة قد علمته الشفقة •

من  
«دمعة وابتسامة»

(وهي مجموعة من الشعر المنثور تحوي على ما  
فاقت به قريحة جبران من سنة ١٩٠٣ حتى ١٩٠٨)

يوم مولدي

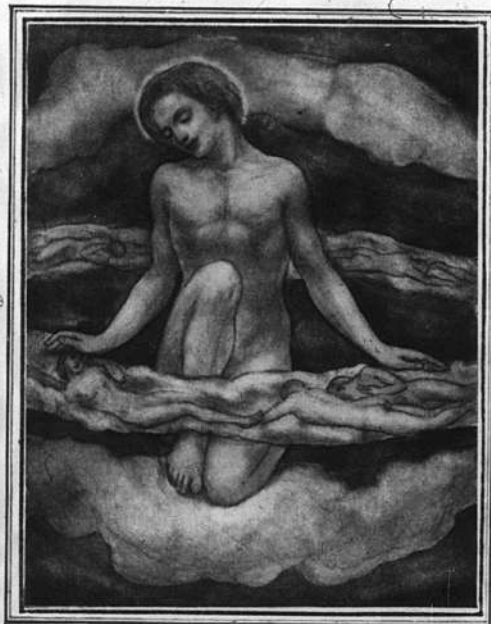
كتبت في باريس في ٦ كانون الثاني سنة ١٩٠٨

.....

في مثل هذا اليوم ولدتني امي

في مثل هذا اليوم ، منذ خمس وعشرين سنة ،  
وضعتني السكينة بين ايدي هذا الوجود المملوء  
بالصراخ والتزاع والعراك

ها قد سرت خمساً وعشرين مرة حول الشمس ،  
ولا ادري كم مرة ساد القمر حولي ، لكنني لم  
ادرك بعد اسرار النور ، ولا عرفت خفايا الظلام  
قد سرت خمساً وعشرين مرة مع الارض والقمر



والشمس والكواكب حول التاموس الكلي الاعلى،  
ولكن هوذا نفسي تهمس الان اسما ذلك التاموس  
مثلما ترجع الكهوف صدى امواج البحر ، فهي  
كأثمة بكيانه، ولا تعلم ماهيته، وترنم باغاني مده  
وجزده ، ولا تستطيع ادراكه

منذ خمس وعشرين سنة خطتني يد الزمان كلمة  
في كتاب هذا العالم الغريب الهائل . وهاءنذا كلمة  
مبهمة ، ملتبسة المعاني ، ترمز تارة الى لا شيء  
وطورا الى اشياء كثيرة

ان التأملات والافكار والتذكارات تتراجم على  
نفسي في مثل هذا اليوم من كل سنة ، وتوقف امامي  
مواكب الايام الغابرة ، وتريني اشباح الليالي الماضية ،  
ثم تبدها كما تبدد الريح بقايا الفيوم فوق خط  
الشفق ، فتضطل في زوايا غرفتي اضمحلال اناشيد  
السواقي في الاودية البعيدة الخالية

في مثل هذا اليوم من كل سنة تعجى الارواح  
التي رسمت روحي متراكضة نحووي من جميع

اطراف العالم ، وتحيط بي مرتلة اغاني الذكرى  
المحزنة ، ثم تتراجع على مهل وتخفي وراء المرثيات،  
كانها اسراب من الطير هبطت على بيدر مهجور  
فلم تجد بذورا تلتقطها ، ففرقت هنيهة ثم طارت  
سابعة الى مكان آخر

في هذا اليوم تنتصب امامي معاني حياتي الغابرة،  
كانها مرآة ضئيلة انظر فيها طويلا فلا ارى سوى  
اوجه السنين الشاحبة كأوجه الاموات ، وملامح  
الآمال والاحلام والاماني المتجعدة كملامح  
الشيخوخة . ثم اغمض عيني وانظر ثانية في تلك  
المرآة ، فلا ارى غير وجهي ثم احدق بوجهي فلا  
ارى فيه غير الكآبة ، ثم استنطق الكآبة فاجدها  
خرساء لا تتكلم ، ولو تكلمت الكآبة لكانت اكثر  
حلاوة من القبلة

في الحس والعشرين سنة الغابرة قد احببت  
كثيرا . وكثيرا ما احببت ما يكرهه الناس وكرهت  
ما يستحسنونه . والذي احبته عندما كنت صبيا ما

زلت احبه الآن . والذي احبه الان ساجه الى نهاية  
الحياة ، فالمحبة هي كل ما استطع ان احصل عليه  
ولا يقدر احد ان يفقدني اياه

قد احببت الموت مرات عديدة ، فدعوته باسماء عذبة  
وتشبت به سرراً وعلناً . ولئن لم اسل الموت ولا  
نقضت له عهداً ، فاني صرت احب الحياة ايضاً .  
فالموت والحياة قد تساويا عندي بالجمال ، وتضارعا  
باللذة ، وتشاركا بانماء شوقي وحنيني ، وتساهما  
مجبتي وانعطافي

وقد احببت الحرية فكانت مجبتي تنمو بنمو  
معرفتي عبودية الناس للجور والهوان ، وتوسع  
باتساع ادراكي خضوعهم للاضنام المخيفة التي  
نحتها الاجيال المظلمة ، ونصبتها الجهالة المستمرة ،  
ونعمت جوانبها ملاس شفاه العبيد ، لكنني كنت  
احب هواء العبيد بمجبتي الحرية ، واشفق عليهم ،  
لانهم عيان يقبلون احناك الضواري الدامية ولا  
يصررون ، ويمتصون لهاث الافاعي الحبيثة ولا

يشعرون ، ويحفرون قبورهم باظافرهم ولا يعلنون .  
قد احببت الحرية اكثر من كل شيء لانني وجدتتها  
فتاة قد اضناها الانفراد ، وانحلها الاعتزال ، حتى  
صارت خيالاً شفافاً يمر بين المنازل ، ويقف في  
منعطقات الشوارع ، وينادي عابري الطريق ، فلا  
يسمعون ولا يلتفتون

وفي الخمس والعشرين سنة قد احببت السعادة  
مثل جميع البشر ، فكنت استيقظ كل يوم واطلبها  
كما يطلبونها ، لكنني لم اجدها قط في سيلهم ،  
ولا رايت اثر اقدامها على الرمال المحيطة بقصورهم ،  
ولا سمعت صدى صوتها خارجاً من نوافذ هياكلهم .  
ولما انفردت بطلبها سمعت نفسي تهمس في اذني  
قائلة : « السعادة صبية تولد وتجا في اعماق القلب  
ولن تجي اليه من محيطه » . ولما فتحت قلبي لكي  
ارى السعادة وجدت هناك مراتها وسريرها  
وملابسها . لكنني لم اجدها

وقد احببت الناس - احببتهم كثيراً - والناس

في شرعي ثلاثة: واحد يلعب الحياة وواحد يباركها،  
وواحد يتأمل بها ، فقد احببت الاول لتعامته ،  
والثاني لسماحته ، والثالث لمداركه

هكذا انقضت الحس والعشرون سنة . وهكذا  
ذهبت ايامي وليالي متسارعة ، متتابعة ، متساقطة  
من حياتي ، مثلما تتناثر اوراق الشجر امام رياح  
الحريف

واليوم ، وقد وقفت متذكراً ، وقوف سائر متعب  
بلغ منتصف العقبة ، انظر الى كل ناحية فلا ارى  
لماضي حياتي اثرا استطيع ان اومي اليه امام وجه  
الشمس قائلاً : « هذا لي » ولا اجد لفصول اعوامي  
غلة سوى اوراق مخضبة بقطرات الحبر السوداء ،  
ورسوم غريبة مبشرة مملوءة خطوطا والواناً متباينة  
متناسقة . في هذه الاوزاق المنثورة ، والرسوم  
المبشرة ، قد كفت ودفت عواطفني وافكارني  
واحلامي ، مثلما يدفن الزراع البذور في بطن  
الارض ، ولكن الزراع الذي يخرج الى الحقل

ويلقي البذور بين ثنايا التراب يعود الى بيته في  
المساء آملاً راجياً منتظراً ايام انحصار والاستقلال ،  
اما انا فقد طرحت حبات قلبي بلا امل ، ولا رجاء ،  
ولا انتظار

والآن ، وقد بلغت هذه المرحلة من العمر ، فترامى  
لي الماضي من وراء ضباب التهيد والاسى ، وبان  
لناظري المستقبل من وراء نقاب الماضي ، اقف وانظر  
الى الوجود من خلال بلور نافذتي ، وارى وجوه  
الناس واسمع اصواتهم متصاعدة الى الفضاء ، واعى  
وقع اقدامهم بين المنازل ، واشعر بلامس ارواحهم  
وتموجات اميالهم ونبضات قلوبهم ، انظر فارى  
الاطفال يلعبون ويتراكضون ويذرون التراب بعضهم  
في وجوه بعض ضاحكين مقهقهين ، وارى الفتيان  
يسرون بعزم رافعين رؤوسهم كأنهم يقرأون  
قصيدة الشباب مكتوبة بين حواشي الصيوم المبطنة  
باشعة الشمس ، وارى الصبايا يخرطن ويتشبين  
كالاغصان ويتبسمن كالاظهار وينظرن الى الفتيان



من وراء جفون ترتعش بالليل والانصاف ، وارى  
الشيخ يشون على مهل محدودبي الظهور ،  
متوكلين على العصي ، محدقين بالارض ، كأنهم  
يبحثون بين دقائق التراب عن جواهر اصاعوها .  
اقف بجانب نافذتي وانظر متاملاً بجميع هذه الصور  
والاشباح الساكنة بمسيرها ، المتطيرة بديبها في  
شوارع المدينة وازقتها ، ثم انظر متاملاً بما وراء  
المدينة فارى البرية بكل ما فيها من الجمال الرهيب ،  
والسكنة المتكلمة ، والتلول الباسقة ، والودية  
المنخفضة ، والاشجار النامية ، والاعشاب المتمايلة ،  
والازهار المعطرة ، والانهار المترنمة ، والاطيار  
المفردة ، ثم انظر الى ما وراء البرية ، فارى البحر  
بكل ما في اعماقه من الغرائب والعجائب ، والمدافن  
والاسرار ، وما على سطحه من الامواج الزبدة ،  
الغضوبية ، المتسارعة ، المتهاونة والابخرة المتصاعدة ،  
التبددة ، المتساقطة ، ثم انظر متاملاً بما وراء البحر  
فارى الفضاء غير المتناهي بكل ما فيه من العوالم

من  
«الارواح المتهمة»  
( سنة ١٩٠٨ )

(خليل الكافر يتاجي الحرية:)

«من اعماق هذه الاعماق ناديك ايتها الحرية  
فاسمعينا: من جوانب هذه الظلمة نرفع آكفنا نحوك  
فانظرينا . وعلى هذه الثلوج نسجد امامك فارحمينا .  
امام عرشك الرهيب تقف الان ناشرين على  
اجسادنا اثواب آباتنا الملطخة بدمائهم عاقرين  
شعورنا بتراب القبور المزوج ببقاياهم . حاملين  
السيوف التي اغمدت باكبادهم . رافعين الرماح  
التي خرقت صدورهم . ساحين القيود التي ابادت  
اقدامهم . صارخين الصراخ الذي جرح حناجرهم  
ناثحين النواح الذي ملأ ظلمة سجونهم مصنين  
الصلاة التي انبثقت من اوجاع قلوبهم فاصغي ايتها

اليقظة . سلام ايتها الرويا . سلام ايها النهار الغامر  
بنورك ظلمة الارض . وسلام ايها الليل المظهر  
بظلمك انوار السماء . سلام ايتها الفصول . سلام  
ايها الربيع المعيد شيبة الارض . سلام ايها الصيف  
المذيع مجد الشمس . سلام ايها الخريف الواهب  
ثمار الاتعاب وغلة الاعمال . سلام ايها الشتاء .  
المرجع بثوراتك عزم الطبيعة . سلام ايتها الاعوام  
الناشرة ما اخفته الاعوام . سلام ايتها الاجيال  
المصلحة ما افسدته الاجيال . سلام ايها الزمن  
السائر بنا نحو الكمال . سلام ايها الروح الضابط  
اعنة الحياة ، المحجوب عنا بنقاب الشمس . وسلام  
لك ايها القلب ، لانك تستطيع ان تهذب بالسلام وانت  
مغمور بالدموع . وسلام لك ايتها الشفاء ، لانك  
تلتفظين بالسلام وانت تذوقين طعم المرارة .»

الحرية واسمعينا ٠٠ من منبع النيل الى مصب الفرات  
يتصاعد نحوك عويل النفوس متموجاً مع صراخ  
الهاوية ٠ ومن اطراف الجزيرة الى جبهة لبنان تمتد  
اليك الايدي مرتعشة بزراع الموت ٠ ومن شاطئ  
الخليج الى اذيال الصحراء ترتفع نحوك الاعين  
مغمورة بذوبان الاقدسة فالتفتي ايتها الحرية  
وانظرينا ٠٠ في زوايا الاكواخ القائمة في ظلال  
الفقر والهوان تفرغ امامك الصدور وفي خنايا  
البيوت الجالسة في ظلمة الجهل والقساوة تطرح  
لديك القلوب وفي قراني المنازل المحجوبة بضباب  
الجور والاستبداد تحن اليك الارواح فانظري ايتها  
الحرية وارحمينا ٠ في المدارس والمكاتب تناحيك  
الشبية الياسة وفي الكنائس والجوامع يستملك  
الكتاب التروك ٠ وفي المحاكم والمجالس تستغيث  
بك الشريعة المهملة فاشفقي ايتها الحرية وخلصينا ٠٠  
في شوارعنا الضيقة يبيع التاجر ايامه ليعطي اثمانها  
الى لصوص المغرب ولا من ينصحه وفي حقولنا

المجدبة يحضر الفلاح الارض باظافره ويزرعها حبات  
قلبه وسقيها دموعه ولا يستغل غير الاشواك ولا  
من يعلمه ٠ وفي سهولنا الجرداء يسير البدوي عارياً  
حافياً جائعاً ولا من يترأف عليه فكلمي ايتها  
الحرية وعلمينا

«نعاجنا ترتعي الاشواك والحسك بدلاً من  
الزهور والاعشاب ٠ وعجولنا تقضم اصول الاشجار  
بدلاً من الذرة ٠ وخبولنا تلتهم الهشيم بدلاً من  
الشعير فهلبي ايتها الحرية وانقذينا —

«منذ البد، وظلام الليل يخيم على ارواحنا فاي  
متى يجيء الفجر ٠ من العجوس الى العجوس تنتقل  
اجسادنا والايال تمر بنا ساخرة فالى متى نحتمل  
سخرية الايال ومن نير ثقيل الى نير اثقل تذهب  
اعتناقنا وامم الارض تنظر من بعيد ضاحكة منا فالى م  
نصبر على ضحك الامم ومن القيود الى القيود تسير  
ركابنا فلا القيود تفتى ولا نحن نقرض فالى متى  
نحيى —

«من عبودية المصريين الى سبي بابل الى قساوة  
الفرس الى خدمة الاغريقين الى استبداد الروم  
الى مظالم المغول الى مطامع الانكليز فالى ابن نحن  
سائرون الان واي متى نبلغ جيئة العقبة —

«من مقابض فرعون الى مخالب نبوختنصر الى  
اظافر الاسكندر الى اسياف هيرودس الى برائن  
نيرون الى انايب الشيطان فالى يد من نحن ذاهبون  
الان واي متى نبلغ قبضة الموت فترتاح من سكينه  
العدم —

«بزم سواعدنا قد رفضوا اعمدة الهياكل والمعابد  
لمجد الهتهم • وعلى ظهورنا قد ثقلوا الطين والحجارة  
لبناء الاسوار والبروج لتعزيز حماهم • وبقوى  
اجسادنا قد اقاموا الاهرام لتخليد اسمائهم • فحتى  
متى نبني القصور والصورح ولا نسكن غير  
الاكواخ والكهوف • ونملأ الاهراء والخزائن ولا  
نأكل غير الثوم والكرات • ونحوك الحرير والصفوف  
ولا نلبس غير الموشح والاطمار —

«بخشهم واحتيالهم قد فرقوا بين العشيرة والعشيرة  
وابعدوا الطائفة عن الطائفة وبخضوا القبيلة بالقبيلة  
فحتى متى تنبذ كالرماد امام هذه الزوبعة القاسية  
وتتصارع كالاشبال الجائعة بقرب هذه الجيفة المنتنة —  
«لحفظ عروشهم وطمانينة قلوبهم قد سلخوا  
الدرزي لمقاتلة العربي • وحسوا الشيعي لمصارعة  
السنى • ونشطوا الكردي لذبح البدوي • وشجروا  
الاحدي لنازعة المسيحي فحتى متى يصرع الاخ  
اخاه على صدر الام والى متى يتوعد الجار جاره  
بجانب قبر الحبيبة والى م يتباعد الصليب عن  
الهلال امام عين الله —

«اصفي ايتها الحرية واسمعينا • التفتي يا ام  
ساكني الارض وانظرينا فنحن لسنا ابناء ضرتك •  
تكلمي بلسان فرد واحد منا فمن شرارة واحدة  
يشعل القش اليابس • ايقظي بحفيف اجنحتك  
روح رجل من رجالنا فمن سحابة واحدة ينبثق البرق  
ويثير بلحظة خلايا الاودية وقمم الجبال • بددي

بعزمك هذه الغيوم السوداء وانزلي كالصاعقة  
واهدمي بالمنجنيق قوائم العروش المرفوعة على  
العظام والجماجم المصفحة بذهب الجزية والرشوة  
المغمورة بالدماء والدموع

« اسكتينا ايها الحرية .....

قوي قلوبنا لنحيى او شدي سواعد اعدائنا علينا  
فنفتى ونقرض ونرتاح »

كان خليل يناجي السماء وعيون الفلاحين محدقة  
به وعواطفهم تنسكب مع نغمة صوته وفوسهم  
تتطاير مع انقابه وصدورهم تخفق بنبضات قلبه  
فكأته اصبح منهم في تلك الساعة بمنزلة الروح  
من الجسد . ولما انتهى من مناجاته التفت نحوهم  
وقال بهدوء « قد جمعنا هذا الليل في منزل الشيخ  
عباس لكي نرى نور النهار واوقفنا المظالم امام  
هذا القضاء البارد لكي نتفاهم وتنضم كالقراخ  
تحت جناحي الروح الخالدة . فليذهب الان كل  
منا الى فراشه لينام مترقبا لقاء اخيه في الصباح »

من  
« الاجنحة المتكسرة »

### الشعلة البيضاء

انقضى نيسان وانا ازور منزل فارس كرامه  
والتقي بسلمى واجلس قبالها في تلك الحديقة  
متأملاً محاسنها ، معجباً بمواهبها ، مصغياً لسكينة  
كآبتها شاعراً بوجود ايدٍ خفية تجذبني اليها .  
فكل زيارة كانت تبين لي معنى جديداً من معاني  
جمالها وسراً علوياً من اسرار روحها ، حتى اصبحت  
امام عيني كتاباً اقرا سطوره واستظهر آياته واترنم  
بنغمته ولا استطع الوصول الى نهايته

ان المرأة التي تمنحها الالهة جمال النفس مشفوعاً  
بجمال الجسد هي حقيقة ظاهرة غامضة نفهمها بالعبء  
ونلمسها بالطهر وعندما نحاول وصفها بالكلام



تخفي عن بصائرنا وراء ضباب الحيزة والالتباس .  
وسلمى كرامه كانت جميلة النفس والجسد فكيف  
اصفها لمن لا يعرفها ؟ هل يستطيع الجالس في ظل  
اجنحة الموت ان يستحضر تقريرة البلبل وهمس  
الوردة وتهدئة الغدير ؟ ايقدر الاسير المثقل بالقيود  
ان يلاحق هبوب نسيمات الفجر ؟ ولكن اليس  
السكوت اصعب من الكلام ؟ وهل ينمعي التهييب  
عن اظهار خيال من خيالات سلمى بالالفاظ الواهية  
اذا كنت لا تستطيع ان ارسم حقيقتها بخطوط من  
الذهب ؟ ان الجائع السائر في الصحراء لا يأبى  
اكل الحبز اليابس اذا كانت السماء لا تمطره البن  
والسلوى

كانت سلمى نحيلة الجسم تظهر بلباسها البيضاء  
الحريرية كاشعة قمر دخلت من النافذة . وكانت  
حركاتها بطيئة متوازنة اشبه شي بمقاطيع الالحان  
الاصفهانية . وصوتها منخفضاً حلواً تقطعه  
التهدات فينسكب من بين شفتيها القرمزيتين مثلما

تساقط قطرات الندى عن تيجان الزهور بمرور  
تموجات الهواء . ووجهها - ومن يا ترى يستطيع  
ان يصف وجه سلمى كرامه ؟ باية الفاظ تقدر ان  
نصور وجهاً حزيناً محجوباً وليس محجوباً بنقاب  
من الاصفرار الشفاف ؟ باية لغة تقدر ان نتكلم عن  
ملامح تعلن في كل دقيقة سرّاً من اسرار النفس  
الكبيرة المتألّمة في داخل الجسد وتذكر الناظرين  
اليها بعالم روحي بعيد عن هذا العالم ؟ ان الجمال  
في وجه سلمى لم يكن منطبقاً على المقاييس التي  
وضعها البشر للجمال . بل كان غريباً كالحلم او  
كالرويا او كفكر علوي لا يقاس ولا يحدد ولا  
ينسخ بريشة المصور ولا يتجسم برخام العفّار .  
جمال سلمى لم يكن في شعرها الذهبي بل في هالة  
الطهر المحيطة به . ولم يكن في عينيها الكبيرتين  
بل في النور المنبعث منهما . ولا في شفتيها الورديتين  
بل في الحلاوة السائلة عليهما . ولا في عنقها العاجي  
بل في كيفية انحنائه قليلاً الى الامام . جمال

سلمى لم يكن في كمال جسدها بل في نبالة روحها  
الشيخة بشعلة يضاء متقدة ساجدة بين الارض  
واللانهاية . جمال سلمى كان نوعاً من ذلك النبوغ  
الشعري الذي نشاهد اشباحه في القصائد السامية  
والرسوم والانغام الخالدة . واصحاب النبوغ تعساء  
مهما تهاوت ارواحهم تظل مكتنفة بغلاف من  
الدموع .

وكانت سلمى كثيرة التفكير قليلة الكلام ،  
لكن سكوتها كان موسيقياً ينتقل بجليسها الى  
مسارح الاحلام البعيدة ويجعله ان يصغي لنبضات  
قلبه ويرى خيالات افكاره وعواطفه منتصبه امام  
عينه

اما الصفة التي كانت تعانق مزايها سلمى وتساور  
اخلاقها فهي الكآبة العميقة الجارحة ، فالكآبة  
كانت وشاحاً معنويّاً ترتديه فتزيد محاسن جسدها  
هيئةً وغرابةً وتظهر اشعة نفسها من خلال خيوطه  
كخطوط شجرة مزهرة من وراء ضباب الصباح

وقد اوجدت الكآبة بين روحي وروح سلمى  
صلة المشابهة فكان كلانا يرى في وجه الثاني ما  
يشعر به قلبه ، ويسمع بصوته صدى مخبات صدره ،  
فكأن الالهة قد جعلت كل واحد منا نصفاً للآخر  
يلتصق به بالطهر فيصير انساناً كاملاً ، وينفصل  
عنه فيشعر بنقص موجه في روحه

ان النفس الحزينة المثالة تجد راحة بانضمامها  
الى نفس اخرى تماثلها بالشعور وتشاركها  
بالاحساس مثلما يتانس القريب بالغيرب في ارض  
بعيدة عن وطنيهما — فالقلوب التي تدنيها اوجاع  
الكآبة بعضها من بعض لا تفرقها بهجة الافراح  
وبهرجتها فرابطة الحزن اقوى في النفوس من  
روابط القبطة والسرور . والحب الذي تسله  
العيون بدموعها يظل طاهرًا وجميلًا وخالداً



من  
«العواصف»

«العاصفة»

مقطعات من حديث يوسف الفخري

.....

« لقد كان بإمكانني عبادة الله وأنا بين خلقه لأن  
العبادة لا تستلزم الوحدة والانفراد وأنا لم أترك  
العالم لأجد الله لأنني كنت أجدّه في بيت أبي وفي  
كل مكان آخر ، ولكنني هجرت الناس لأن أخلاقي  
لا تنطبق على أخلاقهم وإحلامي لا تتفق مع إحلامهم  
تركت البشر لأنني وجدت نفسي دولا بآباً يدور  
بين دواليب تدور يساراً ، تركت المدينة  
لأنني وجدت شجرة مسنة فاسدة قوية هائلة عروقتها  
في ظلمة الأرض وانغصبتها تتعالى إلى ما وراء الغيوم ،  
أما أزهارها فمطامع وشرور وجرائم وأما أثمارها

فويل وشقاء وهموم • وقد حاول بعض المصلحين  
تطعيمها وتغيير طبيعتها فلم يفلحوا بل ماتوا قانطين  
مضطهدين مغلوبين على أمرهم »

« لا ، لم أطلب الوحدة للصلاة والتسك ، لأن  
الصلاة ، وهي أغنية القلب ، تبلغ آذان الله وإن  
تصاعدت مزوجة بصياح الوف الالوف ، وأما  
التسك ، وهو قهر الجسد وإماتة رغبته ، فمسألة  
لا مكان لها في ديني لأن الله قد بنى الأجسام  
هياكل للأرواح وعلينا أن نحافظ على هذه الهياكل  
لتبقى قوية نظيفة لائقة بالالوهية التي تحل فيها •  
لا يا أخي لم أطلب الوحدة للصلاة والتشف بل  
طلبتها هارباً من الناس وشرائعهم وتعاليمهم  
وتقاليدهم وأفكارهم وضحجتهم وعويلهم ، طلبت  
الوحدة لكي لا أرى أوجه الرجال الذين يبعون  
نفوسهم ليشتروا بأمانها ما كان دون نفوسهم قدراً  
وشرفاً • طلبت الانفراد لكي لا التقى بالنساء  
اللواتي يسرن ممدودات الاعتناق غامزات العيون

وعلى ثغورهن الف ابتسامة وفي اعماق قلوبهن  
غرض واحد . طلبت الانفراد لكي لا اجالس ذوي  
«التصف معرفة» الذين يصرون في المنام خيال  
العلم فيتخيلون انهم اصبحوا من المدارك بمقام  
التقطعة من الدائرة ، ويرون في اليقظة احد اشباح  
الحقيقة فيتوهمون انهم قد امتلكوا جوهرها الكامل  
المطلق . طلبت الحلوة لانني مللت مجاملة الحشن  
الذي يظن اللطف ضرباً من الضعف ، والتساهل  
نوعاً من العجاجة ، والترفع شكلاً من الكبرياء .  
طلبت الحلوة لان نفسي تعبت من معاشره الممولين  
الذين يظنون ان الشمس والامطار والكواكب لا  
تطلع الا من خزائنها ولا تغيب الا في جيوبهم .  
ومن الساسة الذين يتلاعبون باماني الامم وهم  
يندرون في عيونها الغبار الذهبي ويملاون آذانها  
برنين الالفاظ ، ومن الكهان الذين يعظون الناس  
بما لا يعظون به ويطلبون منهم ما لا يطلبونه من  
نفوسهم . طلبت الوحدة والانفراد لانني لم احصل

على شيء من يد بشري الا بعد ان دفعت ثمنه من  
قلبي . طلبت الوحدة والانفراد لانني شئت ذلك  
البناء العظيم الهائل المدعو حضارة ، ذلك البناء الدقيق  
الصنع والهندسة القائم فوق رايحة من الجماليم  
البشرية . طلبت الوحدة لان في الوحدة حياة  
للروح والفكر والقلب والجسد . طلبت البرية  
الحالية لان فيها نور الشمس وزاخرة الازهار وانعام  
السواقي . طلبت الجبال لان فيها يقظة الربيع  
واشواق الصيف واغاني الحريف وعزم الشتاء . جئت  
الى هذه الصومعة المنفردة لانني اريد معرفة اسرار  
الارض والدنو من عرش الله «

.....

«ليت شعري هل قسم الله حياة الانسان - وهي  
الدهر بكامله - الى فصول تشابه فصول السنة  
بمسيرها وتتابعها ؟ هل يظهر على سطح الارض  
بعد الف الف عام طائفة من البشر تحيا بالروح  
والحق ؟ هل يأتي زمن يتمجد فيه الانسان فيجلس

على بين الحياة فرحاً بنور النهار وطمانينة الليل ؟  
هل يتم ذلك يا ترى ؟ - هل يتم ذلك بعد ان تشبع  
الارض من لحوم البشر وترتوي من دماثهم ؟

« تلك احلام بعيدة ، وليست هذه الصومعة منزلاً  
للاحلام ، لان ما اعلمه يقيناً يشغل كل فسحة وكل  
قرنة فيها ، بل يشغل كل مكان في هذه الاودية  
وهذه الجبال . اما ما اعلمه يقيناً فهو هذا - انا  
كائن موجود ، وفي اعماق وجودي جوع وعطش  
ولي الحق ان اتناول خبز الحياة وخرها من الآتية  
التي اصنعها بيدي ، من اجل ذلك تركت موائد  
الناس وولائهم وجئت هذا المكان وسابقي فيه  
حتى النهاية »

.....  
.....

« ليست هذه الامة الا كالامم كافة ، فاناس  
من جيلة واحدة وهم لا يختلفون بعضهم عن بعض  
الا في الظواهر والمظاهر الخارجية التي لا يعتد بها،

فتعامة الامم الشرقية هي تعاسة الارض بكاملها .  
وليس ما تحسبه رقيقاً في الغرب سوى شبح آخر من  
اشباح الغرور الفارغ ، فالربا يظل ربا ، وان قلم  
إخافره ، والغش يبقى غشاً وان لانت ملامسه ،  
والكذب لا يصير صدقاً اذا لبس الحرير وسكن  
القصور ، والخداع لا يتحول الى امانة اذا ركب  
القطار او اعتلى المنطاد ، والطمع لا يتقلب قناعاً  
اذا قاس المسافات او وزن العناصر ، والجرائم لا  
تصبح فضائل وان سادت بين العامل والمجاهد ...  
اما العبودية - العبودية للحياة ، العبودية للماضي ،  
العبودية للتعالم والعوائد والازياء ، العبودية  
للاموات فستبقى عبودية وان طلت وجهها وغيرت  
ملابسها . العبودية تظل عبودية حتى وان دعت  
نفسها حرية . لا يا اخي ليس الشرقي ارقى من  
الشرقي ولا الشرقي احط من الغربي وما الفرق  
بينهما الا كالفرق الكائن بين الذئب والضبع . ولقد  
نظرت فرأيت وراء مظاهر الاجتماع المتباينة ناموساً

اولياً عادلاً يفرق التمامة والعاوذة والجهالة على  
السواء فلا يميز شعباً على شعب ولا يظلم طائفة دون  
طائفة »

.....

«نعم باطلة هي المدنية وباطل كل شيء فيها ،  
فما الاختراعات والاكتشافات سوى الاعيب يتسلى  
بها العقل وهو في حالة الملل والتضجر ، وما تفصير  
المسافات وتمهيد الجبال والادوية والتغلب على  
البحار والفضاء غير اثمار غشاشة مملوءة بالدخان لا  
ترضي العين ولا تنفذي القلب ولا ترفع النفس اما  
تلك الانفاز والاحاجي التي يدعونها بالمعارف  
والفنون فهي قيود وسلاسل ذهبية يجرها الانسان  
مبتهجاً بلعائتها ورنين حلقاتها ، بل هي اقصاص  
ابتدأ الانسان بتطريق اعمدها واسلاكها منذ القدم  
غير عالم بانه لا ينتهي من صنعها الا ويوجد نفسه  
اسيراً مسجوناً في داخلها ٠٠٠ نعم باطلة هي اعمال  
الانسان ، وباطلة هي تلك المقاصد والرامي والمنازع

والاماني وباطل كل شيء على الارض ، وليس بين  
اباطيل الحياة سوى امر واحد خليق بحب النفس  
وشوقها وهيامها - ليس هناك غير شيء واحد»

.....

.....

«هي يقظة في النفس . هي يقظة في عمق  
اعماق النفس . هي فكرة تفاجي وجدان الانسان  
على حين غفلة وتفتح بصيرته فيرى الحياة مكتشفة  
بالانظام ، محاطة بالهالات ، منتصبه كبرج من  
النور بين الارض والانهاية . هي شعلة من شعلات  
ضئير الوجود تتأجج فجأة في داخل الروح فتحرق  
ما يحيط بها من الهشيم وتتصدد سابعة مرفرفة في  
الفضاء الواسع . هي عاطفة تهبط على قلب الفرد  
فيقف مستغرباً مستهجنأ كل ما يخالفها كارها كل  
شيء لا يجاريها . متردداً على الذين لا يفهمون  
اسرارها . هي يد خفية قد ازلت الغشاء عن عيني  
وانا في وسط الاجتماع بين اهلي واصحابي ومواطني

فوقفت منذهلاً مدهوشاً قائلاً في نفسي - ما هذه  
الوجوه وما شأن هؤلاء الناظرين اليّ وكيف  
عرفتهم ، واين لقيتهم ، ولماذا اقيم بينهم بل لماذا  
اجالسهم واحادثهم ؟ هل انا غريب بينهم ام هم  
الغرباء في ديار بنتها الحياة لي واسلمتي  
مفاتيحها.....»

.....

«هي بقطة في اعماق النفس فمن يعرفها لا  
يستطيع اظهارها بالكلام ومن لم يعرفها فلا ولن  
يدرك اسرارها»

## مات اهلي

مات اهلي وانا في قيد الحياة اندب اهلي في  
وحدتي وانفرادي

مات احبائي وقد اصبحت حياتي بعدهم بعض  
مصابي بهم

مات اهلي واحبائي وغررت الدموع والدماء  
هضبات بلادي وانا ههنا اعيش مثلما كنت عائشاً  
عندما كان اهلي واحبائي جالسين على منكبتي  
الحياة وهضبات بلادي مغمورة بنور الشمس .

مات اهلي جاثين ومن لم يست منهم جوعاً قضى  
بعد السيف ، وانا في هذه البلاد القوية اسير بين  
قوم فرحين مغبوطين يتناولون الماء كل الشهية  
والمثارب الطيبة ويتامون على الاسرة الناعمة  
ويضحكون للايام والايام تضحك لهم .

مات اهلي اذل ميتة ، وانا ههنا اعيش في رغد  
وسلام . وهذه هي الأساة المستبقة على مسرح نفسي

لو كنت جاعاً بين اهلي الجاعين ، مضطهدا  
بين قومي المضطهدين لكانت الايام اخف وطأة  
على صدري ، والليالي اقل سواداً امام عيني . لان  
من يشارك اهله بالاسى والشدة يشعر بتلك التعزية  
العلوية التي يولدها الاستشهاد ، بل يفخر بنفسه  
لانه يموت بريئاً من الابرياء .

ولكنني لست مع قومي الجاعين ، المضطهدين ،  
السائرين في موكب الموت نحو مجد الاستشهاد ،  
بل انا ههنا وراء البحار السبعة اعيش في ظل  
الطمأنينة وخمول السلامة . انا ههنا بعيد عن  
النكبة والتكويين ولا استطيع ان افتخر بشي حتى  
ولا بدموعي

وماذا عسى يقدر المنفي البعيد ان يفعل لاهله  
الجاعين

ليت شعري ، ماذا ينفع ندب الشاعر ونواحه !  
لو كنت سنبله من القمح نابتة في تربة بلادي

لكان الطفل الجائع يلتقطني ويزيل بجاتي يد الموت  
عن نفسه

لو كنت ثمرة يانعة في بساتين بلادي لكانت  
المرأة الجائعة تتناولني وتتضمني طعاماً

لو كنت طائرأ في فضاء بلادي لكان الرجل  
الجاع يسطادني ويزيل بجسدي ظل القبر عن جسده

ولكن واحر قلباه ، لست بسنبلة من القمح في  
سهول سوريا ، ولا بشمرة يانعة في اودية لبنان ،  
وهذه هي نكبتي . هذه هي نكبتي الصامتة التي  
تجعلني حقيراً امام نفسي وامام اشباح الليل .

هذه هي المأساة الموجعة التي تعقد لساني وتكبل  
يدي ثم توقفني بلا عزم ، ولا ارادة ، ولا عمل

يقولون لي - ما نكبة بلادك سوى جزء من نكبة  
العالم ، وما الدموع والدماء التي هرقت في بلادك  
سوى قطرات من نهر الدماء والدموع المتدفق ليلاً  
ونهاراً في اودية الارض وسهولها

نعم . ولكن نكبة بلادي نكبة خرساء - نكبة

بلادى جريمة جبلت بها ر ووس الافاعي والثعابين -  
نكبة بلادى ماساة بغير اناشيد ولا مشاهد

لو ثار قومي على حكاهم الطفافة وماتوا جميعاً  
متبردين لقلت ان الموت في سبيل الحرية لاشرف  
من الحياة في ظلال الاستسلام . ومن يعتق الابدية  
والسيف في يده كان خالداً بخلود الحق

لو اشتركت امتي بحرب الامم وانقرضت على  
بكرة ايها في ساحة القتال لقلت هي العاصفة الهوجاء  
تهصر بعزمها الاغصان الخضراء واليابسة معاً ،  
والموت تحت اقدام العواصف لاشرف منه بين  
ذراعي الشيخوخة

ولو زلزلت الارض زلزالها وقلبت ظهر بلادى  
صدراً وغمر التراب اهلي واجباتي لقلت هي  
النواميس الخفية تتحرك بمشيئة قوة فوق قوى  
البشر فمن الجهالة ان نحاول ادراك اسرارها وخفاياها  
ولكن لم يمت اهلي متبردين ، ولا هلكوا

مطربين ، ولا زرع الزنزال بلادهم فانقرضوا  
مستسلمين .

مات اهلي على الصليب  
ماتوا واكفهم ممدودة نحو الشرق والغرب  
وعيونهم محدة بسواد الفضاء  
ماتوا صامتين لان آذان البشرية قد اغلقت دون  
صراخهم

ماتوا لانهم لم يجبوا اعداءهم كالجبناء ، ولم  
يكرهوا محبيهم كالباحدين

ماتوا لانهم لم يكونوا مجرمين

ماتوا لانهم لم يظلموا الظالمين

ماتوا لانهم كانوا مسلمين

ماتوا جوعاً في الارض التي تمدد لبناً وعسلاً

ماتوا لان الثبان الجهني قد التهم كل ما في

حقولهم من المواشي وما في اهرانهم من الاقوات

ماتوا لان الافاعي ابنا الافاعي قد تنفسوا السموم

## بين ليل وصباح

اسكت يا قلبي فالفضاء لا يسعك •

اسكت يا قلبي فالآثير المثقل بالنواح والعرول لن  
يحمل اغانيك وانا شيدك •

اسكت فاشباح الليل لا تحفل بهمس اسرارك ،  
ومواكب الظلام لا تقف امام احلامك •

اسكت يا قلبي ، اسكت حتى الصباح ، فمن  
يتربص الصباح صابراً يلاقى الصباح قوياً ومن يهوى  
النور فالتور يهواه •

اسكت يا قلبي واسمعي متكلماً :

في الحلم رايت شحوراً يفرد فوق فوهة بر كان  
نائر •

ورايت زنبقة ترفع راسها فوق الثلوج ،

ورايت حورية عارية ترقص بين القبور •

ورايت طفلاً يلعب بالجمام وهو يضحك •

رايت جميع هذه الصور في الحلم ولما استيقظت

في الفضاء الذي كانت تبلوه انفاس الارز و عطور  
الورد والياسمين

.....

مات اهلي واهلكم ، ايها السوريون ، فماذا  
نستطيع ان نفعل لمن لم يمت منهم ؟

ان نواحن لا يسد رمقهم ، ودموعنا لا تروي  
غليلهم

اذن ماذا نفعل لتنفذهم من الجوع والشدة ؟

هل تبقى مراتبين ، مترددين ، متكاسلين ،  
مشغولين عن المأساة العظمى بتوافه الحياة وصغائرها؟

ان العاطفة التي تجعلك ، يا اخي السوري ، تعطي  
شيئاً من حياتك لمن يكاد ان يفقد حياته هي هي  
الامر الوحيد الذي يجعلك حرياً بنور النهار  
وهدهو الليل

وان الدرهم الذي تضعه في اليد الفارغة الممدودة  
اليك هو هو الحلقة الذهبية التي تصل ما فيك من  
البشرية بما فوق البشرية •



ونظرت حولي رايت البركان هائجاً ولكنني لم  
اسمع الشحور ولا رايتته هرفرفاً .

ورايت الفضاء ينثر الثلوج على الخقول والادوية،  
ساتراً باكفانه البيضاء اجسام الزنايق الهامدة .

ورايت القبور صفوفاً منتصبه امام سكينه الدهور  
وليس بينها من يتمايل راقصاً ولا من يجثو مصلياً .

ورايت راية من الجماجم وليس هناك من ضاحك  
سوى الريح .

في اليقظة رايت الحزن والاسى فاين ذهبت  
افراح الحلم ومسراته ؟

انتي توادتي بهجة المنام وكيف اضمحلتموسمه؟  
وكيف تتجلد النفس حتى يعيد النوم اشباح

امانيها وآمالها ،

اصح يا قلبي واسمعي متكلماً :  
كانت نفسي بالامس شجرة مسنة قوية تمتد عروقها

الى اعماق الارض وتتعالى غصونها نحو اللانهاية .  
ولقد ازهرت نفسي في الريح وانثرت في

الصيف ، ولما جاء الحريف جمعت اثمارها في اطباق  
من الفضة وضعتها على قارعة الطريق فكان  
العابرون يتناولون منها وياكلون ثم يسرون في  
سيبلهم .

ولما انقضى الحريف وتحولت تهاليله الى الندب  
واللولوة نظرت فلم ار في اطباقى سوى ثمرة

واحدة ابقاها الناس لي ، فتناولتها واكلت فلقيتها  
مرة كاللحم حامضة كالحصرم ، فقلت لنفسي :

«ويحي لقد وضعت في افواه الناس لعنة» وفي  
اجوافهم عداً ، فماذا ترى فعلت يا نفسي بالحلاوة

التي امتصتها عروقك من احشاء الارض وبالاربع  
الذي تشربته قضبانك من نور الشمس ؟ »

بعد ذلك اقتلعت شجرة نفسي القوية المسنة .

اقتلعتها بعروقها من التربة التي نمت فيها

وترعرت .

اقتلعتها من ماضيها وترعرت عنها ذكرى الف

ربيع والف خريف .

وعدت فزرعت شجرة نفسي في مكان آخر .  
زرعتها في حقل بعيد عن سبل الزمن . وكنت  
اسهر بجانبها قائلاً : ان السهر يدنيننا من النجوم ،  
وكنت اسقيها دمي ودموعي قائلاً : ان في الدم  
نكهة وفي الدموع حلاوة .

ولما عاد الربيع ازهرت نفسي ثانية ، وفي الصيف  
اثمرت ، ولما جاء الحريف جمعت اثمارها الناضجة  
في اطباق من الذهب ووضعتها على ملتحى السبل .  
فمرّ الناس افراداً وجماعات ولكن لم يد احد  
يده ليتناول منها .

فاخذت اذ ذاك ثمرة واكلت فوجدتها حلوة  
كالشهد ، لذيدة كالكوثر ، عطرة كالفاس  
الياسين ، طيبة كالخمر البابلية ، فصرخت قائلاً :  
« ان الناس لا يريدون البركة في افواههم ولا الحق  
في اجوافهم لان البركة ابنة الدموع والحق ابن  
الدماء » .

ثم عدت وجلست في ظلال شجرة نفسي المنفردة

في حقل بعيد عن سبل الزمن .

\*\*\*\*\*

اسكت يا قلبي حتى الصباح .

اسكت فالفضاء قد اتخمته رائحة الاشلاء فلن  
يتشرب انفاسك .

اصغ يا قلبي واسعني متكلاً :

كانت بالامس فكرتي سفينة تتقلب بين امواج  
البحار وتنتقل مع الالهواء من شاطئ الى شاطئ .

وقد كانت سفينة فكرتي خالية الا من سبعة  
اكواب طائفة بالوزان مختلفة تشابه الوزان قوس قرح  
بتضارثها

وجاء زمن مللت فيه التنقل على وجه البحار  
فقلت ساعود بسفينة فكرتي الفارغة الى ميناء البلد  
الذي ولدت فيه .

ثم اخذت اطلي جوانب سفيتي بالوزان ، صفراء  
كشس المغيب ، وخضراء كقلب الريح ، وزرقاء  
ككبد السماء ، وحمراء كذوب الشقيق ، وارسم

على شرايعها ودفعتها رسوماً غريبة تجذب العين  
وتبهج البصيرة

ولما انتهيت من عملي وقد ظهرت بفكرتي كروميا  
نبي تطوف بين اللانهايتين ، البحر والسماء ،  
دخلت بها ميناء بلدي فخرج الناس للملاقاة بالتهليل  
والتعظيم وادخلوني المدينة ضارين الدخوف ناضحين  
الزور .

فعلوا ذلك لان خارج سفيتي كان مزخرفاً بهجاً  
ولم يسأل احد ماذا جلبت فيها من وراء البحار .  
ولم يدر احد اني عدت بها فارغة الى الميناء .  
عند ذلك قلت في سري : « لقد ضللت الناس  
وبسعة اكواب من الالوان قد كذبت على باصرتهم  
وبصائرهم »

وبعد عام ركبت سفينة فكرتي وابتعدت ثانية .  
سرت الى جزر الشرق فجمعت منها المرّ واللبان  
والصندل وادخلتها الى سفيتي .  
والى جزر الجنوب فجلبت منها التبر والحاج

والياقوت والزمرد وجميع الحجارة الكريمة .  
والى جزر الشمال فعدت منها بالحز والوشي  
والبرفير .

والى جزر العرب فحملت منها الدروع المزودة  
والسيوف المشرفة والرماح السموية وسائر انواع  
الاسلحة .

ملأت سفينة فكرتي بنفائس الارض وغرائبها  
وعدت الى ميناء بلدي قائلاً :

« سوف يبجدي قومي ولكن عن جدارة ،  
وسيدخلوني المدينة منشدين مزمرين ولكن عن  
استحقاق »

ولكن لما بلغت الميناء لم يخرج احد للملاقاة .  
ودخلت شوارع بلدي فلم يلتفت الي احد

ووقفت في ساحتها مطناً للناس ما جلبت لهم  
من ثمار الارض وطرائفها فكانوا ينظرون التي  
والضحك ملء افواههم والسخرة على وجوههم ثم  
يتحولون عني .

فعدت الى الميناء كئيباً مستغرباً ، ولكنني ما  
لمحت سفيتي حتى فطنت لامرر كنت مشغولاً عنه  
بمنازع اسفاري ودرغائبها ، فهتفت قائلاً : « ان  
امواج البحار قد محت الطلاء عن جوانب سفيتي  
فبانث كهيكل من عظام ، واعفت الارياح والانواء  
وحرارة الشمس الرسوم عن شراعها فظهرت  
كاثواب رمادية بالية .

لقد جمعت طرائف الارض ونفائسها في تابوت  
يعوم على وجه الماء وعدت الى قومي فبنوني لان  
عبونهم لا ترى سوى المظاهر الخارجية .  
في تلك الساعة تركت سفينة فكرتي وذهبت  
الى مدينة الاموات وجلست بين القبور المكلسة  
مفكرًا باسرارها .

اسكت يا قلبي حتى الصباح . اسكت فالعاصفة  
الهبوجاء تسخر بهمس اعماقك ، وكهوف الوادي  
لن ترجع بصداها دنات اوتارك .  
اسكت يا قلبي حتى الصباح فمن يتقرب الصباح

متجددًا يعانقه الصباح مشتاقًا .

ها قد طلع الفجر يا قلبي فتكلم ان كنت تستطيع  
الكلام .

هو ذا موكب الصباح يا قلبي فهل ابقى سكوت  
الليل في اعماقك اغنية تلاقني بها الصباح ؟  
هو ذا اسراب الحمام والشحارير تتطاير متقلبة  
في اطراف الوادي فهل ابقى هول الليل في  
جنحيك صلابة لتطير معها ؟

هو ذا الرعيان يسرون امام قطعانهم من الحظائر  
والمرابض فهل ابقى لك اشباح الليل عزمًا لتسير  
وراءها الى المروج الخضراء ؟

هو ذا الفتيان والصبيان يشون الهويثا نحو  
الكروم فهلا نهضت ومشيت معهم ؟

قم يا قلبي ! قم وسر مع الفجر فالليل قد مضى  
ومخاوف الليل قد اضمحلت مع احلامه السوداء .  
قم يا قلبي وارفع صوتك مترنمًا فمن لا يشارك  
الصبح باغانيه كان من ابناء الظلام .

من  
«المواكب»  
(صدر سنة ١٩١٩)

والدين في الناس حقل ليس يزرعه  
غير الأولى لهم في زرعه وطر

من أمل بنعيم الخلد مبشر  
ومن جهول يخاف النار تستر

فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا  
رباً ولولا الثواب المرتجى كفروا

كانما الدين ضرب من متاجرهم  
ان واظبوا ربوا او اهلوا خسروا

والحق للعزم والارواح ان قويت  
سادت وان ضعفت حلت بها الغير

ففي العريضة ربح ليس يقربه  
بنو الثعالب غاب الأسد ام حضروا

وفي الزراير جين وهي طائفة  
وفي البزاة شموخ وهي تحتضر

والعزم في الروح حق ليس ينكره  
عزم السواعد شاء الناس ام نكروا

فان رأيت ضعيفا سائداً فعلى  
قوم اذا ما رأوا اشباحهم نفروا

.....

والحب في الناس اشكال واكثرها  
كالشعب في الحقل لا زهر ولا ثمر

واكثر الحب مثل الراح ايسره  
يرضيه واكثره للمدمن الحطير

والحب ان قادت الاجسام موكبه  
الى فراش من الاغراض يتشجر

كانه ملك في الاسر معتقل  
يا بى الحياة واعوان له غدروا

## شذرات

اقرب الناس الى قلبي ملك لا مملكة له وفقير  
لا يعرف كيف يستعطي .

اشواق الى الابدية لانني ساجتمع فيها بقصائدي  
غير المنظومة وصورتي غير المرسومة .

اللؤلؤة هيكل بناه الالم حول جبة رمل واجسادنا  
هياكل بناها التشويق حول ذرات من الروح  
عندما تبلغ قلب الحياة تجد انك لست ارفع من  
المجرمين ولا ادنى من الانبياء .

الناس رجالان ، رجل مستيقظ في الظلام ورجل  
نائم في النور .

قولك انك لا تفهمني مديح لا استحقه انا واهانة  
لا تستحقها انت .

ما اظلم من يعطيك من جيبه لياخذ من قلبك  
كم مرة عزوت لنفسي جرائم لم ارتكبها قط  
كي لا اظهر ارفع ممن يجالسني من المجرمين .